الليتورجيّا والعادات والتقاليد الشعبيّة

الأب أيّوب شهوان

مقدّمة

قد لا يخلو تراثٌ على وجه الأرض من تقاليد وعادات شعبية تبدعها الأجيال المتعاقبة من هذا الشعب أو ذاك، ويعتنقها الأولاد والأحفاد بعد الآباء والأجداد، حتّى تضحي عنصرًا جامعًا وفاعلاً، لها قوةُ سُنّةٍ أو شريعةٍ أو عقيدة، تستقطب هذه الجماعة أو تلك في وقت وزمان محدّدَين، لتؤدّي الواجب الدينيّ المعهود، وتَفرحَ وتُسَرَّ وتبتهج، وتقيم من ثَمَّ الوليمةَ الجامعةَ والمعبِّرةَ عن الدعم الراسخ للحياة وتواصلها، إلى حدِّ أنّ العادةَ تضحي ذاتَ وزنٍ كالعبادة.

١ – العبادة والعادات والتقاليد

١/١ – العبادة

تقوم **العبادة** على فعل عقلانيّ وروحانيّ جسدانيّ، هو نتيجة اقتناع واعتراف، فإيمان وخضوع، فعلٌ يتجلّى بالإكرام والاحترام والتعظيم، بهيبة وخشوع ووقار، تترجمه الليتورجيّا بوسائلها المتوارثة والمستنبطة والمجدّدَة، للبلوغ بالمؤمن إلى لقاءٍ "جُوَّانِيٍّ" وَلاَمَرئِيٍّ وحميمٍ بين المعبود والعابد، إلى حدّ انشغال هذا الأخير بخالقه والانشغاف به كما بين حبيبَين. وعندما تتكرّر العبادةُ موسميًّا –جماعيًّا في الأساس أو فرديًّا أحيانًا– تضحي شيئًا فشيئًا إرثًا ذا ثقلٍ يطيبُ حَمْلُهُ، والحفاظُ عليه بأمانةٍ، وممارستُهُ بفرح واندفاع من جيل إلى جيل، فيضحي **عادة** تتغلغل في حياة كلّ مولود جديد، وتستقرّ فيه إلى جانب كلّ ما يتلقّاه من شعبه أو جماعته.

٢/١ – العادات

يقول لحد خاطر في هذا المجال: "العادات" جمع "عادة"، وهي الدَيْدَنُ والدَأْبُ؛ سُمِّيَتْ كذلك لأنَّ صاحبَها يُعاودُها مرّةً بعدَ مرّة. وقد يراد بالعودة الصيرورة المطلقة. يقال: عَادَهُ أي انتابَهُ وبَدَأَهُ ثانيةً وصَيَّرَهُ عادَةً. ويقول العامّة من اللبنانيّين: "العادة طبيعة خامسة"، ذلك لعرف الأقدمين منهم أنّ الطبائع عندهم أربع: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وقد نسبوا إليها التحكّمَ في الأجسام تحكُّماً لا مفرَّ منه، لأنَّ فيه قوامَها، وجعلوا العادةَ خامسَها لاشتمالِها على مِثْلِ ذلك التحكُّم. ولهم في العادة أمثال، هي

فلسفتُهم الشعبيّةُ الخاصّةُ المُعرِبةُ عن أسلوبِهم في النظر إلى العادات، منها: "عادةٌ في البدنِ لا يغيّرُها إلاّ الكفن"؛ "كلُّ شيء عادة حتّى العبادة"؛ "العادة بتقطع خرزة البير"؛ "مَن غَيّر عادته بتقلّ سعادته"[١].

يقول ج. جيلِّين: "العادات الاجتماعيّة هي سلوك متكرّر يُكتَسَب، ويُتَعلَّم، ويُمارَس، ويُتوارَث اجتماعيًّا"[٢].

٣/١ – التقاليد

أمّا **التقاليد** فهي في البدء عفويّةُ عابدٍ أو مصلٍّ يجعلُ من ممارسةٍ ما شخصيّةٍ أمرًا يكرّره في المناسبة الدينيّة عينها، ويسير في إثره آخَرون، سنةً بعد سنة، حتّى تفرض هذه الممارسةُ ذاتها، وتضحي تقليدًا معبّرًا ومقبولاً من الجماعة التي تتبنّاه وتعتمده وتحافظ عليه. إنّ للتقليد أهمّيّةً موحِّدَة قد لا يجوز الاستغناء عنها، وقوّةً يحسن قبولها وتطبيق مضمونها، وإلاّ وقع صراعٌ مقلقٌ بين محافظٍ مؤمنٍ بالتقليد، وبين خارجٍ عليه ورافضٍ له، ممّا يعني أنّ التقليد عنصرٌ حيويٌّ وحياتيٌّ ثمينٌ في مسيرة الشعوب حاضرًا ومستقبلاً، وفي تواصلها بأمانةٍ مع ماضيها.

ويقول لودْبِرْج عن التقاليد: "إنّها الذكريات والتقارير الشفويّة، للعادات والأعراف القديمة، وللتجارب الماضية التي مرّت بها الجماعة"[٣]. أمّا إبراهيم مدكور فيميّز بين دلالتَي العادات والتقاليد، فيقول: "العادات هي السلوك المكتسب الذي يشترك فيه أفراد شعب معيّن، وتُعَدّ هذه العادات معايير يُنظَر إليها على أنّها ذات قيمة اجتماعيّة"[٤]. إنّ التقاليد، يضيف مدكور، هي "طرائق جمعيّة السلوك، مستقلّة في وجودها من الفرد، تفرض نفسها عليه، وتعينه على تقوية الشعور الجمعيّ، وتحقيق الاندماج التامّ بين عناصر المجتمع... هي صنع الماضي ودعامة الحاضر... يقدّسها الناس وإن بدا فيها ما لا يُفهَم سببه"[٥].

بدوره يعرّف أحمد زكي بدوي العادات بقوله: "ليست العادات إلاّ أنماطًا من السلوك الجمعيّ، التي تنتقل من جيل إلى جيل...، وتصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها، وفي بعض الأحيان تقوم مقام القانون في المجتمع"[٦].

لحد خاطر، **العادات والتقاليد اللبنانيّة**، بيروت ١٩٧٤، ص ١٢.

[2] G. GELLIN, *Cultural Sociology*, p. 153,

نقلاً عن فوزيّة دياب، **القيم والعادات الاجتماعيّة**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١١٥.

[3] G. A. LUDBERG, *Foundations of Sociology*, p. 182. نقلاً عن فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتماعية**، ص ١٧٠.

[4] إبراهيم مدكور، **العادات والتقاليد**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دون تاريخ، ص ٣٨١.

[5] مدكور، **العادات**، ص ١٦٩.

[6] أحمد زكي بدوي، **العادات الاجتماعيّة**، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٧، ص ٩٤.

ونُدرج من لحد خاطر أيضًا ما كتبه في التقاليد: "والتقاليد جمع تقليد، من "قَلّدَ المرأةَ قلادةً في عنقها"، أي أناطها بها وأحكم ربطها، حتّى تكاد لا تفارقُها، ومعنى ذلك متابعةُ الإنسان غيرَه في ما يقولُ ويفعلُ متابعةً مُحْكَمَة. وللتقاليد معانٍ أخرى منها: قَلّدَ المرءُ مَنْ تَقَدّمَهُ، أي اقتفى أثرَه، ونهجَ نهجَه، وتمثّل به في شؤونٍ اتّصلت إليه منه بالنظر أو بالنقل حينًا بعد حين"[٧].

مِمّا لا شكّ فيه إذًا، كما يستنتج لحد خاطر، أنّ "للعادات والتقاليد والأخلاق تأثيرًا كبيرًا في حياةِ الأمم والأفراد، لأنّها تقوّي في المرء شعورَه بما يربطه بوطنه وقومِه وبيئتِه من علاقات، وتنبّه إحساسَه إلى واجبِه في التعاون مع مواطنيه على ما فيه مصلحتهم، وتدفع المجتمع إلى الانتظام والتناسق في الحركة والاتّجاه بالأوضاع، ليمشي الجميع على نمطٍ واحدٍ في التفكير والعمل والقدوة بالأسلاف، والاتّجاهِ إلى الأهداف بشكل يربطُ ماضيَهم بحاضرِهم ومستقبلِهم، ويحملُهم على الاتّعاظِ بما مرّوا به، واقتباسِ ما يُفيدُهم منه، ويحسّنُ حالَهم وطرقَ مَعايشِهم في غدِهم، وعلى ذلك كان ترقّي العادات والتقاليد والأخلاق في كلّ أمّة ذريعةً مضمونةً لتوفيرِ رقيِّها وتقدُّمِها"[٨].

ويفيدنا د. حسن أمين البعيني أنّ "العادات والتقاليد في لبنان في الأفراح والأعياد والأحزان هي عادات الشعوب التي توطّنته أو احتلّته عبر الأزمنة، وتفاعل بعضها مع بعض ومع عادات الجوار، وتطوّرت بتطوّر الأوضاع الفكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وارتبطت في كثير من النواحي بالمعتقدات الدينيّة"[٩].

٢ – الصلوات والابتهالات الشعبيّة

ولكن ما القول في **الصلوات والابتهالات الشعبيّة**؟[١٠] من الواضح أنّ أديبنا الكبير لحد خاطر، الكبير في الوصف الدقيق والتبويب المنهجيّ، كما في التحليل والاستنتاج، وبحسّه العلميّ المُلفت، أبرز العادات والتقاليد في الصلوات والابتهالات أيضًا، مركّزًا على صنفين منها هما التاليان: "أوّلهما: المفروضُ دينًا أو طقسًا، والمقرَّرُ في الكتب، والمعروفُ عند الخاصّ والعامّ؛ وثانيهما: المتداولُ بين الطبقاتِ الشعبيّةِ، المتوارَثُ عنِ السلفِ، والمتناقَلُ على ألسنِ الشيوخ والعجائز باللغة العامّيّة... ولثقة اللبنانيّين بمفعول

لحد خاطر، **المرجع عينه**، ص ١٢.

لحد خاطر، **المرجع عينه**، ص ١٢-١٣.

د. حسن أمين البعيني، **العادات والتقاليد في لبنان في الأفراح والأعياد والأحزان**، منشورات بيسان، بيروت ٢٠٠١، ص ١٦.

راجع، على سبيل المثال، العديد من الصلوات والابتهالات الشعبية في الكتيّب الذي نشرته جمعية جنود مريم، **الصلوات الشعبية**، لبنان ١٩٩٨.

الصلاة وفائدتها أَلِفُوا ترددَ مَثَلِهِمِ العامِّيّ القائل: "الصلا بتدفع البلا"؛ وعلى هذه الثقة تراهم من مختلف الطوائف يُقبِلون عليها"[١١].

ويُدرِج لحد خاطر أمثلةً على الابتهالات والصلوات التي صارت جزءًا من التقليد، بعد أن يقدّم لها، ويقول: "أمّا الابتهالات العامّيّة، فلها نصوصٌ متناثرةٌ على الألسنِ... وكانت هناك الصلوات المتنوّعة المتناقَلَة شفهيًّا، قبل ظهور الطباعة، وانتشار كُتُبِ الصلاة، وفي مقدّمها كتاب **الشبيّة** عند المسيحيّين. وهذه أشهر واحدة من تلك الصلوات علّمتني جدّتي وأنا حَدِثٌ، لأتلوَها قبل رقادي، وما زالت مطبوعةً في ذهني حتّى اليوم، وهذا نَصُّها: "وضعت جسمي ع الأرض، وسلّمت روحي للربّ، العذراء فوق رأسي، تسعى في خلاصي"[١٢].

٣ – الأعياد الشعبيّة

للاطّلاع على العادات والتقاليد المتعلّقة بكلّ من الأعياد السيّديّة في لبنان، أي رأس السنة، والغطاس، والمرفع، والشعانين، وسبت لعازر، وأسبوع الآلام، والفصح، وارتفاع الصليب، والميلاد، أو بأعياد القدّيسين، كمار يوحنّا مارون، ومار جرجس، ومار الياس، ومار سمعان، وجميع القدّيسين، والقدّيسة برباره، إلخ، من المفيد العودة إلى مؤلّفات إميل ناصيف[١٣]، ولحد خاطر المذكور أعلاه، وإلى د. حسن أمين البعيني[١٤]. من هذه المراجع نتبيّن أنّ المؤمنين قد استنبطوا عبر الأجيال عادات وتقاليد خاصّة بكلّ من هذه الأعياد، وأسبغوا عليها شيئًا من القُدُسيّة والوقار والهيبة، أضفت على العيد بهاءً وحلّةً وألوانًا وأصواتًا صارت مع مرور الزمن ضرورةً ولزامًا للعيد ومن مقوّماته. وإذ يضيق بنا الوقت، نحيل القارئ على العديد من المؤلّفات القيّمة في هذا المجال، عربيّة وأجنبيّة، كما أيضًا إلى **توجيهات** مجمع الطقوس في الكرسيّ الرسوليّ **حول العبادة الشعبيّة والليتورجيّا**.

انطلاقًا ممّا تقدّم، تشكّل مداخلتُنا إقرارًا بأهمّيّة موضوع "التقاليد والعادات الشعبيّة والليتورجيّا" في بحوث معهدنا، من جهة، وفي اهتماماتنا الشخصيّة، من جهة ثانية.

لحد خاطر، **المرجع عينه**، ص ٢٧.

[2] لحد خاطر، **المرجع عينه**، ص ٢٨.

[3] إميل ناصيف، **الأعياد الشعبية اللبنانية**، سلسلة التراث الشعبي اللبناني، جروس برس، لبنان ١٩٩٧.

[4] حسن أمين البعيني، **العادات والتقاليد في لبنان في الأفراح والأعياد والأحزان**، منشورات بيسان، بيروت ٢٠٠١.

٤ – الليتورجيّا والعبادة الشعبيّة: تواجدٌ وتآخٍ

للمرّة الأولى تنشر الكنيسة الكاثوليكيّة المولّجة مسألة الشؤون الطقسيّة توجيهات ترشد إلى حسن العلاقات بين العبادة الشعبيّة وبين الليتورجيّا؛ فلقد أصدر مجمع الطقوس في الكرسيّ الرسوليّ في كانون الأوّل ٢٠٠١ **توجيهات حول العبادة الشعبيّة والليتورجيّا**. بالطبع، إنّ هذه الوثيقة هي جديدة، بالمقارنة مع التقوى والعبادات الشعبيّة القديمة قِدَم البشريّة، كما أنّ المعضلات التي تطرحها العلاقات بين التقوى الشعبيّة وبين الليتورجيّا هي أيضًا قديمة قدم المسيحيّة[١٥]. وبالرغم من الإصلاح الليتورجيّ الذي أقرّه المجمع الفاتيكانيّ الثاني، فإنّ الممارسات التقويّة ما زالت موجودة، وستبقى طالما هناك إنسانٌ يُبدع ليصلّي، وكلّما صلّى ازداد إبداعًا وارتقاءً.

وهنا يتبادر إلى ذهننا السؤال التالي: لماذا تلجأ الشعوب أو الجماعات المصلّية والعابدة إلى استنباط عادات وتقاليد معيَّنة في عباداتها؟ لماذا يَلجأ إلى هذه العادات والعبادات الشعبيّة أُناسٌ ميسورون وأصحابُ مقامات، ومثقَّفون وعلماءُ وجامعيّون، كما آخرون بسطاء ومَن هم كَلاَ شيء في هذه الدنيا؟ ما الذي يدفع يائسًا أو محبطًا أو طريح ألمٍ إلى اللجوء العاصف أحيانًا إلى الممارسات التقويّة التي لا تقبل بها الليتورجيّا الموضوعيّة والمنظّمة والمُقَونَنة؟ هل شؤون الحياة القاهرة وصروف الدهر التي قد تؤدّي بخيط الأمل إلى الانقطاع؟ لماذا نصادف كلّ يوم أناسًا، ومن جميع الطبقات والمجتمعات، يقومون بممارسات تقويّة غير مدرَجَة في الليتورجيّا وتقاليدها، فيقبّلون حائط كنيسة أو أرضها، أو يمرغون جبهتهم عند أدراجها، أو يدهنون رأسهم أو عضوًا مريضًا في جسدهم بالزيت المقدّس أو بالماء المبارك؟ ما الذي يدفع هذا أو ذاك من المؤمنين إلى تقديم الشموع لكنيسة أو لمزار، أو لإضاءتها فيهما وحتّى في البيوت، ويتباركون بالبخور أو يحرقونه أمام الصليب أو أيقونة العذراء مريم أو أحد القدّيسين أو القدّيسات، أو يكرّسون ثوبًا عند الكاهن لذاك أو ذاك من القدّيسين، ويتّشحون به للتخلّص من مرض، أو للخروج من مأزق، أو للنجاح في مشروعٍ ما؟ إلى هذه الأمور ينظر العالِمُ الليتورجيُّ بعين الناقد العلميّ، متّخِذًا إمّا موقف المتفهّم، فيتقبّل ممارساتٍ شعبيّةً كهذه، مبرِّرًا موقفه بالقول إنّ هؤلاء الناس لا يعرفون أكثر من ذلك، أو أنّه يقدّر أنّ ذلك أفضل من عدم الممارسة الدينيّة الليتورجيّة، أو أنّه بالمقابل يستخفّ ويستهزئ بعبادات وعادات تقويّة شعبيّة لا يراها مناسبة أو في موضعها، أو يرذلها كلّها وبالجملة، وتثور ثائرته عليها لأنّه لا يؤمن بها ولا يرى فيها غذاءً عقليًّا أو روحيًّا، معتَبِرًا أنّها كلّها وليدة هلوسة أو اعتقاد بالخوارق حتّى السحريّة منها!

---

[5] *Religion populaire et réforme liturgique*, *La Maison-Dieu*, n. 122 (1975).

قد لا يمكن الليتورجيّا إطلاقًا أن تضع حدًّا لهذه العادات والتقاليد المرتبطة بالعبادات الشعبيّة التقويّة، لأنّه سيبقى هناك أناس يفضّلون ما اعتادت عليه مجتمعاتهم في هذا السياق على ما ترتّبه وتنظّمه وتطوّره السلطات الكنسيّة المختصّة بالطقوس الكنسيّة؛ لذا، سيبقى ضروريًّا وحتميًّا استيعاب الليتورجيّا لما يمارسه الكثيرون خارج أطر هذه الأخيرة، أملاً بالسير بأصحابها إلى العبادة الحقّة، العبادة التي مارسها يسوع وعلّمها لتلاميذه، أي "العبادة بالروح والحقّ".

٥ – الليتورجيّا والعادات والتقاليد الشعبيّة في الكنيسة

٥/١ – في الكنيسة الأولى

ترقى العلاقات بين الليتورجيّا والعبادات والتقاليد الشعبيّة إلى أوائل الكنيسة، حيث تميّزت مرحلة الرسل وما بعدها بتداخل عميق بين مختلف التعابير الليتورجيّة وبين العبادة الشعبيّة[١٦].

ففي الجماعات المسيحيّة الأقدم، **الحقيقة الوحيدة التي** كانت تؤخَذ بعين الاعتبار **هو المسيح يسوع**: "أمّا الحقيقة فجسد المسيح" (كول ٢: ١٦)؛ كذلك أقواله وتعاليمه الحياتيّة: "أنا خبز الحياة؛ مَن يأتِ إليّ فلن يجوع، ومن يؤمن بي فلن يعطش" (يو ٦: ٣٥)؛ ووصيّة المحبّة المتبادلة: "وصيّةً جديدةً أُعطيكم: تحابُّوا حُبّي لكم" (يو ١٣: ٣٤)؛ والأعمال الطقسيّة التي أوصى بالقيام بها تذكارًا له: "أنا من الربّ تلقّيتُ ما سلّمتُ إليكم أنّ الربّ يسوع، ليلة أُسلِم، أخذ خبزًا وشكر وكسر وقال..." (رج ١ كور ١١: ٢٤–٢٦). أمّا الباقي، "من أيّام وشهور، وفصول وسنين، وأعياد ورؤوس شهور، ومأكل ومشرب"... (رج غل ٤: ١٠؛ كول ٢: ١٦–١٩)، فهو ثانويّ بالمقارنة مع الحقيقة الوحيدة، يسوع المسيح.

ومن الجائز الاعتقاد أنّ الرسل قد لجأوا إلى الصيغ التقليديّة للصلاة اليهوديّة؛ فعندما لم يكونوا يردّدون الصلاة التي كان يسوع قد علّمهم إيّاها، كانوا يتلون نصوصًا من العهد القديم، المزامير، والأنبياء، والبركات، والتضرّعات، التي كانت تتدفّق من قلب الجماعة المزيّنة بحضور مريم في وسطها. بالطبع لا نعرف شيئًا يُذكَر عن **صيغ هذه الصلوات**، ولكنّنا نظنّ وعن حقّ أنّ العنصر العفويّ كان حاضرًا بقوّة، لأنّ العادات والتقاليد الليتورجيّة اليهوديّة لم تعد كافية للتعبير عمّا جاء به تجسّد يسوع وما حقّقه بموته وقيامته، وعمّا يجيش في قلب مَن آمَن بالربّ واعتمد باسمه للحياة الأبديّة.

---

[16] Ph.-H., MENOUD, *La vie de l'Église naissante*, Neuchâtel : Delachaux & Niestlé, [2]1969, ch. IV : « La persévérance dans la prière », pp. 44-51.

ليست لدينا معلومات دقيقة حول الطريقة التي بها كان المسيحيّون الأوائل يصلّون، وحول الطريقة التي كانوا بها، هم "العابدون بالروح والحقّ"، يستعملون صيغَ العبادة اليهوديّة؛ لكن بإمكاننا أن نتبيّن من الصلاة التي تلت تهديد المجلس لبطرس ويوحنّا، على أثر شفاء أعرج الباب الحسن (أع ٣: ١-١٠)، وإلقاء بطرس خطبة بعدها، واعتقال بطرس ويوحنّا، مثلاً أولاً عن صلاة ليتورجيّة مُصاغة بوضوح، مستوحاة من مزامير يتلوها بصفتهم تلاميذ يسوع ومؤمني إله يسوع المسيح، وليس بصفتهم يهود العهد القديم (أع ٤: ٢٣-٣١). إنّ لهذه الصلاة أهمّيّتها الخاصّة كونها أوّل محاولة أو مبادرة ليتورجيّة لجماعة مسيحيّة في الكنيسة الأولى تصلّي خارج إطار الاحتفال الإفخارستيّ. وقد يمكننا الاعتقاد أنّ العادات والتقاليد المتوارثة قد دخلت عفوًا في تركيبة هذه الصلاة[١٧].

٢/٥ – في الأجيال المسيحيّة الأولى

كان الإسرائيليّ التقيّ يبدأ نهاره بتسبيح الله وشكره[١٨]، وكان يتمّم كلّ عمل بهذا الروح طوال نهاره؛ هكذا كان كلُّ وقت، عاديًّا أو غيرَ عاديّ، سارًّا كان أو مُحزنًا، مناسبةً للتعبير عن صلاة تسبيح، أو طلبة أو مسامحة[١٩].

ومع انطلاقة المسيحيّة، أي في الأجيال المسيحيّة الأولى، كان هناك أيضًا نوع من **العبادات الشخصيّة**، مصدرها أوّلاً التقليد اليهوديّ، ثمّ مبادرات المسيحيّين الأوائل المنصاعين لمبدأ **الصلاة المتواصلة** الذي يدعو إليه يسوع: "وضرب يسوع مثلاً في وجوب قيامهم بالصلاة والمواظبة عليها دون ملل" (لو ١٨: ١)، وكذلك بولسُ من بعده: "كونوا على الصلاة مواظبين" (روم ١٢: ١٢)، أو "صلّوا بغير انقطاع " (١ تس ٥: ١٧).

و**الصلاة ينبغي أن تُوَجَّهَ إلى الله** الذي له يؤدَّى فعلُ الشكران، كما يعلّم القدّيس بولس: "إذًا، إن أكلتم أو شربتم أو فعلتم شيئًا، فافعلوا كلّ شيء تمجيدًا لله" (١ كو ١٠: ٣١)؛ "لذلك نحن أيضًا نشكر الله بغير انقطاع" (١ تس ٢: ١٣)؛ "فكلّ ما تأتون من قول أو عمل، فليكن كلّ شيء باسم الربّ يسوع، شاكرين به الله الآب" (كول ٣: ١٧).

---

[17] Didier RIMAUD, « La première prière liturgique dans les livres des Actes (Ac 4, 23-31; Ps 2 et 145) », *La Maison-Dieu* 51, 99-115.

حول بدء النهار بالصلاة، راجع الموضوعات التالية: "Aqedah", "Bénédictions", "Mah tovou", "Office du matin", "Prière", dans *Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme*, Cerf : Paris 1993.

بولس الفغالي، "الصلاة"، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، لبنان ٢٠٠٣، ص ٧٥٣ي، خاصة ص ٧٥٥-٧٥٦؛ راجع أيضًا موضوع "الصلاة" في **معجم اللاهوت الكتابي**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٤٧٧ي.

ويحسن هنا أن نذكّر بأنّ هذه المنطلقات المبدئيّة للصلاة لا بدّ وأن تكون قد تلوّنت بالعادات والتقاليد التي كانت سائدة في هذه البلاد أو تلك.

٣/٥ – في الأناجيل وكتب العهد الجديد الأخرى

تحتوي الأناجيل وكتب العهد الجديد الأخرى **صلوات موجّهة إلى يسوع**، كانت تُضحي، عندما يتلوها المؤمنون خارج الإطار الليتورجي ّ، نوعًا ما صلواتٍ كانوا يعبّرون بها عن تقواهم المركّزة على المسيح يسوع، ودائمًا وفق عادات وتقاليد خاصّة من حيث التعبير. ممّا لا شكَّ فيه أنّ المؤمنين كانوا معتادين على تكرار أقوال ذات أصول بيبليّة، حفظوها وردّدوها في الظروف التي كانت تدفعهم إلى ذلك، مثل: "يا يسوع، ابن داود، ارحمني" (لو ١٨: ٣٨)؛ "يا ربّ، إن شئت، فأنت قادر أن تشفيني" (مت ٨: ١)؛ "يا يسوع، أذكرني متى دخلت ملكوتك" (لو ٢٣: ٤٢)؛ "أيّها الربّ إلهي" (يو ٢٠: ٢٨)؛ "ربّي يسوع، إقبل روحي" (أع ٧: ٥٩). وستشكّل هذه الصيغ من **التقوى** النموذج الذي انطلاقًا منه ستنمو صلوات لا عدّ لها يوجّهها إلى المسيح مؤمنو كلّ زمان ومكان، وكلٌّ حسب عاداته وتقاليده الرائجة.

٤/٥ – الليتورجيا والعبادة الشعبيّة حاليًا

إنّ مسألة العلاقات بين الليتورجيّا والعبادة الشعبيّة لا تُطرح فقط في العصر المعاصر؛ فلقد طُرحت على مدى القرون مرّات عدّة، تحت تسميات وصيغ مختلفة، وأُعطيَت لها حلول مختلفة. من الضروري إذًا أخذ بعض الدلائل التي تُستخرج من الاختبار التاريخيّ، والتي تسمح بالاستجابة للمتطلّبات الرعائيّة التي تُطرح بشكل متواتر وبطريقة ملحّة.

لقد تبيّن لنا من التاريخ أنّ العلاقات بين الليتورجيّا والعبادة الشعبيّة تتراجع إبّان الفترات التي فيها يخفّ وعي القيم الأساسيّة الجوهريّة للّيتورجيّا لدى المؤمنين.

٥/٥ – الليتورجيّا والعادات الشعبيّة على ضوء الدستور العقائديّ في الليتورجيّا المقدّسة

ينبغي معالجة موضوع العلاقات بين الليتورجيّا وبين العادات والتقاليد الشعبيّة قبل كلّ شيء على ضوء توجيهات الدستور العقائديّ **في الليتورجيّا المقدّسة**، التي تسعى إلى تحديد علاقات متناغمة بين هذَين التعبيرَين للتقوى، انطلاقًا من المُعطى المزدوج التالي: التقوى الشعبيّة وعاداتها وتقاليدها هي موضوعيًّا خاضعة للّيتورجيّا، وتجد في ذات الوقت في هذه الأخيرة هدفها.

صحيح أنّ جهلاً للعادات والتقاليد المرتبطة بالعبادة الشعبيّة، أو التعبير عن عدائيّة تجاهها، يكشفان لدى أصحابها تقييمًا غير مناسب لبعض العناصر التي تكوّن حياة الكنيسة، وتبدو أنّها تأتي من أحكام مسبقة.

بالمقابل، إنّ تعظيم العادات والتقاليد المرتبطة بالتقوى الشعبيّة بشكل أحاديّ يؤدّي إلى وضع الليتورجيّا جانبًا، أي إلى عدم التركيز على الإيمان الذي به يدخل المؤمن إلى قلب الحدث الخلاصيّ الأساسيّ: الآلام، والموت، والقيامة (رج روم ٦: ٢-٦؛ ١ كور ١١: ٢٣-٢٦).

إنّ الكنيسة التي تعي سرّها وفعاليّة عملها العباديّ والخلاصيّ لا تتوانى تؤكّد أنّه "بالليتورجيّا، خاصّة في ذبيحة الإفخارستيّا الإلهيّة، يتمّ عمل افتدائنا"، الأمر الذي لا يستبعد أهمّيّة صيغ تقويّة أخرى.

خاتمة

مِمّا تَقَدَّم، نستنتج أنّ **الليتورجيّا والعادات والتقاليد الشعبيّة** هي تعابير أصيلة –مع أنّها غير متساوية– للعبادة المسيحيّة. بدلاً من وضع الواحدة ضدّ الأخرى، أو اعتبارها عناصر قابلَة للتبادل، ينبغي بالأحرى التنسيق بينها، أي ترتيب الممارسات التقويّة عند الشعب المسيحيّ بطريقة تجعلها متناغمة مع الليتورجيّا.

إنّ الليتورجيّا والعادات والتقاليد المرتبطة بالعبادة الشعبيّة هي إذًا تعابير تَقَوِيّة ينبغي أن تكون في علاقة متبادلة وخصبة، حتّى ولو كانت الليتورجيّا مدعوّة أبدًا إلى أن تشكّل مرجعيّة تسمح بأن توجّه بوضوح وفطنة الرغبات الحارّة للصلاة التي تتجلّى في التقوى الشعبيّة. من جهتها، العبادةُ الشعبيّة، مع قيمها الرمزيّة والتعبيريّة، هي قادرة على مساعدة الليتورجيّا للنجاح في عملها التثاقفيّ، وتقدر أيضًا أن تؤمّن لها عناصر تحثّ على تنمية ديناميّة طاقتها الخلاّقة بفعاليّة.

المراجع

أبو علي د. محمّد توفيق، **صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهليّة في كتب الأمثال العربيّة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

بدوي احمد زكي، **العادات الاجتماعيّة**، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٧.

بعيني (الـــ) د. حسن أمين، **العادات والتقاليد في لبنان في الأفراح والأعياد والأحزان**، منشورات بيسان، بيروت، ٢٠٠١.

جمعيّة جنود مريم، **الصلوات الشعبيّة**، لبنان، ١٩٩٨.

خاطر لحد، **العادات والتقاليد اللبنانيّة**، جزءان، بيروت، ١٩٧٤.

دياب فوزيّة، **القيم والعادات الاجتماعيّة**، دار الكاتب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٦.

الفغالي بولس، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، لبنان، ٢٠٠٣.

مجمع الطقوس، **توجيهات حول العبادة الشعبيّة والليتورجيّا، مبادئ وتوجيهات** (الفاتيكان، كانون الأوّل ٢٠٠١).

مدكور إبراهيم، **العادات والتقاليد**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة (دون تاريخ).

معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

ناصيف إميل، **الأعياد الشعبيّة اللبنانيّة**، سلسلة التراث الشعبيّ اللبنانيّ، جرّوس برسّ، لبنان، ١٩٩٧.

Dictionnaire Encyclopédique du Judaïsme, Cerf, Paris, 1993.

Maison Dieu 236 (2003).

MENOUD Ph.-H., *La vie de l'Église naissante*, Neuchâtel, Delachaux & Niestlé, ^{2}1969.

Religion populaire et réforme liturgique, in *La Maison-Dieu*, n. 122, Cerf, Paris, 1975.

RIMAUD Didier, « La première prière liturgique dans les livres des Actes (Ac 4, 23-31; Ps 2 et 145) », in *La Maison-Dieu* 51, 99-115.